النور

الأحد ١٧ كانون الثاني ١٩٩٣

قضايا ثقافية

اشعة تلامس الجميع

ان مصدر كلمة ايمان، هي من آمن، اي التصديق والاعتقاد بالله وبكل ما هو موجود. وان كلمة امين التي يكثر استعمالها في الصلاة، قد تكون هي ايضا المصدر، بعد زيادة «الالف» عليها. وكلمة آمين هي لحن او (MANTRA) ترنم دينيا. واللغة العربية بنية على مصادر واشكاليات وترابط بما يوحي بان القيمين عليها اجادوا في وضع المصطلحات قريبة من معان معينة. واللغة العربية اوسع واشمل من ان تكون سامية، فاغلب او بعض كلماتها مأخوذة عن اللغة «السنسكريتية» الاصل.

فحتى تكون الكلمة قريبة من آمن وامين، تكون قريبة من السمو الروحي الذي يوصل الى الخالق. وترتبط مباشرة بكل ما هو لا منظور حتى يصبح يقينا. وطالما الكلمة هي مقدسة يكون وجودها في الوحدة والذي يسكن الوحدة يكون مصدره الذات.

ما هو الايمان..؟ هو ترابط المشاعر بالافكار في صفاء النفس عند تحديد ما هو مطروح. فالنفس العنيدة تبقى رفيقة الاحساس والشعور الواقي من التدرك والالتحاد.

انه اشراق رباني، يتجلى في النعمة التي توصل بالمرء الى ما هو ثابت ويدوم. فالنفس المشتاقة تبقى جائعة للقاء مقياس الفيض الالهي الذي نعيشه.

الايمان يجعلك تأتي بالاله والسماء اليك، فتشعر بها تسكن روحك التي لا تدري عنها سوى الكلام والسماع. الايمان مفعول وقوة وامتداد كل الوجود. هو مفعول القوة في النفس التي تمر عبر المعجزات، كونه مرتبط بالكمال الاكبر. هو الخميرة التي شحنها الخالق ضمن مخلوقه حتى لا يتقيد بهذا اللباس الظاهري انه تلاقي الهالة الالهية بالذات الانسانية... وهذا هو قصد الخلق. ففعله لا يأتي صغيرا بل كبيرا ابدا. هو لا يعطيك الفرص، بل يتركك لذاتك. فاستراحة النفس هو ثباتها في الصفاء، وعند ولوج الصفاء يكون المرء مفعما بالايمان. فيأتي الفعل نتيجة نقيض هو الشك.

وفعل الايمان يأتي مطلقا مع كل تجربة، لان التجربة تكون كاملة، حيث ان فعل الايمان يأتي كاملا. وفعله يضع المرء على طريق الصفاء والنقاوة والطهارة هذا اذا كانت الاستمرارية شان الارادة الانسانية النافذة.

يتقوى المرء بالايمان ومن الايمان، فالصلاة الفاعلة والهادفة مصدرها الايمان. فعند اللجوء الى الله الا يكون هذا اعترافا واعتقادا به. فتزيد نعمة الايمان عند كل عمل نقوم به من اجل الخير العام، مما يؤدي الى انعكاس العمل والايمان على الاخرين.

فرؤية المؤمن يعمل بكامل صدقه يولد حرارة لدى الاخرين فيكون بذلك تقوى هو وقوي من حوله. فلا يمكن للانسان ان يعرف مقدار ايمانه الا من خلال وعيه ومدى انطباعه واعماله في الاخرين، فتأتي القوة في الايمان اشعة تلامس الجميع.

يستفاد من الايمان، ان يبقى الانسان متصلا بخالقه حتى لا وعيا منه. ويبقى صاحب السؤال اي سؤال، يسأل من يؤمن بصحة جوابه ورده.

المريض يؤمن بطبيبه، ويجرّه ذلك للتمسك بالعناية الالهية من اجل معجزة تحل عقدة مرضه.

المسافر ايمانه كبير وهو في الاجواء.

البحار يؤمن بولادة فجر جديد وهو يمخر عباب البحر، فيرى الاله يحيط بالافق...

العامل ايمانه قوي لتأمين لقمة عيشه.

المزارع... لولا ايمانه بسقوط الامطار موسميا، لكان احجم عن بذر التربة. حتى الطبيعة... لولا ايمانها الصامت لما اورقت واعطت فايمانها هو العطاء لترسيخ فعل الايمان. في ساعة صارمة كالحة يعود المجرم الى ايمانه من خلال الندامة والتوبة.

لنستفيد ايمانيا من تجارب وخبرات من سبقونا، حيث ان تجاربنا تأتي يقينا. والحديث عن الايمان يثير الفكر والمشاعر كثيرا، وخاصة عن المعجزات. فلو ان الانسان لم يكن مخيرا هل كان للايمان لزوما. وهل الايمان وجد اصلا قبل بزوغ الاديان؟ وهل كان له من لزوم في غابر الازمان.

المعرفة وجدت... وكانت هي السائدة وما زالت، لكنها اليوم اصبحت مقسمة ومتدرجة ضمن العلوم. لان الانسان، انسان هذا العصر لا يمكنه ان يحمل كل العلوم والمعارف. فالانسان في الماضي كان يعرف الله والكون وكل ما يوجد.. عاش دون الرجوع الى اليقين لانه لازمه دون عناء. لقد كان يتمتع بمقدرات نافذة، لا حاجة له ليتلقاها علما، لانها كانت كامنة فيه قوة وفعلا وعند بزوغ الازدواجية اصبحت القوة لا منظورة والفعل صعب التطبيق، وتدركت الامور وانحدر الانسان وغاب عن المقدسات واثر الابتعاد عن حقيقته. فمن كان يؤمن او يتعبد للنجوم والكواكب.. اهل كان ايمانه فقط بالمادة. فكيف يصح ان نسمي اليونان الاقدمون وثنيون وغيرهم ولا نسمي المجوس وثنيين، ان خالق الشمس والنجوم والكواكب.. قد يعثها من صميمه. لكن الوعي الباطن كان من وقت لآخر يذكر الانسان بما كان. فيندم تارة على اعماله ويتخرف تارة اخرى عن الدرب.

اتى الكبار واعادوا الفهم واكثروا العطاءات ضمنا، والمحية نورا، فعاد الكثيرون الى رشدهم وساروا السيرة الصالحة وكان لا بد لارجاعهم الى الصف ان قام بعض من المعلمين والانبياء باعمال جعلتهم يستغربون ويستفسرون ويدخلون في شك يكون ايجابيا، فاتى التصديق والاعتقاد لما راوا وكان للمبشرين دورا في إفعال الايمان.

ويأتي الايمان ايضا عن طريق الرؤى والاحلام. وهذا يكون مشاعريا يلازم صاحبه قناعة لا يمكن ان يشكك بها ابدا. فالرؤى اعطت الكثير عن الايمان لكثير من الشعوب. وانتقلت هذه الرؤى الى احلام عند الكثيرين، حتى دون معرفة ما يرونه في الحلم من خاصة عند بعض الديانات السماوية بظهور قديس او نبي في حلم او في يقظة. فكما المشاعر لها ايمانها هكذا للافكار يقين. فالفكر قد يوصل الى استنتاج ونتيجة يصبح هذا ايمانا قاطعا مبنوعا بيقين. والفكر تظلله الارادة، والارادة ومفاتيح كل الاسرار والمقدرات. فمتى اراد المرء، استطاع تحقيق واجتراح المعجزات، وهذا يتم عن طريق الفكر لا المشاعر لان المشاعر تبقى في دنيا التمني بينما الفكر ينطلق الى كون العطاء في سبيل معرفة ماذا يوجد، فيصبح الايمان موجودا علميا نفسيا اما روحيا: فالروح هي الايمان وقد وضع امانة في الاعراق البشرية. طرق الايمان عديدة منها عملية... علمية... فنية... اكاديمية... رياضية شرقية... نفسية وروحية.

الجودة في العمل والصناعة. هي ايمان ذلك الذي تبنى العمل او الاكتشاف، فلولا ايمانه بالوصول لما بدأ وثابر وتألم وعانى. فالايمان هو المرور بالصعاب ليكون عبرة لكل مستفيد.

الطرق العلمية. من الطالب حتى المجاز. اليس الايمان ركيزة الحياة بالنسبة اليهما؟ الا يؤمن الطالب بقدرة معلمه على وضعه في المكان المناسب!

اليس ايمان المعلم هو ازدياد طاقة الانسانية على التقدم والتطور اليس علم التاريخ هو ايمان بمن سبقنا وكان قبلنا! اليست العلوم هي الايمان بمن قدم واعطى. والا لما اكمل اي مخلوق درب غيره ابدا.

كم تتراءى للفنان صور واحاسيس من خلال ايمانه بوجود شيء لم يتوصل اليه آخرون، والا لتوقف العطاء والتجدد فالايمان بالجديد هو سر الوجود.

من يرسم او ينحت او يغني او يلحن هو ينطلق قبلا الى اللامنظور ومن ثم يجسد منظورا ... مسموعا وملموسا. وكل ما هو غير منظور يجب ان يصله من صلب الايمان. فالرياضات الشرقية.. «كاليوغاء وغيرها تتسم بايمان يوصلها الى حيث تتمنى من خلال تطبيق حركات واوضاع رياضية جسدية معينة. وهذا يتطلب ايمانا في المقدرات الهاجعة في الكيان البشري.

اما ايمان النفس، فهو اشد انواع الايمان صعوبة، فالنفس البشرية كما ورد تتمتع بالازدواجية. الازدواجية هي المد والجزر في الانسان داخل اللامنظور فيه.

الفكرة تعكر صفوها ومعلومة تضعها في بعد عن قرار كانت سوف تتخذه وتعتمده مبدأ لها.

تشتت الافكار من خلال الرؤية او السمع يجعل النفس تتريث لاتخاذ القرار.

لكن العلم اليوم، وبعد ان دخل الى مفهوم النفس من خلال «علم النفس» وغيره، لم يستطع ان يحدد المقدرات النفسية العقلية التي تجعل الانسان قريبا من خالقه. بل اخذته الى غياهب المادة ووضعته امام مفسرين ومحللين جعلوا الانسان، مرة اصله قردا واخرى من الطبيعة الخ... وبعضهم اخذ الالحاد حلية له يناقض ويصارع نفسه بنفسه.

الانسان مكون من جسد، مشاعر، فكر وروح.

اما النفس فهي ضمن المشاعر والافكار. وهي تؤثر على الجسد سلبيا وايجابيا. لكنها لا تطال الروح بل تتحد بها عند زوال السلبيات من النفس والجسد.

ايلي ابو سمره